كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع

دروس في مادة منهجية البحث في علم الاجتماع (محاضرة)

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس علم الاجتماع

الأستاذ: عميرات عبد الحكيم

مقدمة:

يقوم البحث العلمي بشكل عام على الدقة والصرامة في تطبيق الإجراءات المنهجية التي يفرضها منطق التفكير العلمي المتضمن مستويين رئيسيين، مستوى المنطق العقلي القائم على ممارسة التنظير والتأمل وإشغال الخيال وتوظيف العدة المفهومية في تفكير الظواهر. ومستوى منطق الادراك الحسي القائم على الملاحظة الامبريقية والتجربة الميدانية. وعندما يتعلق الأمر بممارسة البحث في علم الاجتماع وبالأخص في إطار إعداد مذكرات تخرج، يصبح من الضروري التذكير بهذه الثنائية في التفكير. لأنّ الممارسين في حقل علم الاجتماع سواء كانوا طلبة باحثين مبتدئين أم باحثين ذوي خبرة وتجربة، مطالبون أكثر من غيرهم بتجسيد هذه الرؤية التي تجمع بين النظرية والتطبيق، من خلال بحوثهم وأعمالهم العلمية. وينبغي الحرس دوما على أن لا يكون هناك تركيز على الجانب النظري على حساب الجانب الميداني ولا العكس. إنّ تجربتنا مع الطلبة في إطار إنجاز مذكرات التخرج، كشفت لنا طوال سنين أن هناك نزعة مفرطة من قبل الطلبة نحو التركيز على الجانب الميداني. ظنا منهم ربما أن الجانب النظري سهل، لا يستحق العناء. أو لأنهم ـ وهذا هو المرجح في تقديرنا ـ ليست لديهم القدرة على التفكير، ولا يمتلكون العدة المفهومية التي تمكنهم من توظيف الأطر النظرية في بناء مواضيع البحث والانتقال بها من المستوى الاجتماعي إلى المستوى السوسيولوجي العلمي. إنّ ممارسة البحث العلمي تستلزم كما يقول أحدهم التفكير كباحث. هذا يعني أنّه لا يكفي أن نتعلّم كيف نطرح الأسئلة ونجد لها الأجوبة. وإنما ينبغي أيضا أن نعرف جيّدا الطريقة التي تجرى بها البحوث. فالطريقة أو بالأحرى المنهج، هو من يعطي لعملية البحث الصفة العلمية. بدون طريقة أو منهج يعتبر كل الناس باحثين بما انهم يتساءلون و يصلون إلى إجابات. وتعترضهم مشاكل في حياتهم فيجدون لها حلولا مناسبة.

إنّ البحث العلمي عملية منتظمة، وليس عفوية أو عشوائية. إنّها فعل هادف وممارسة واعية، تذهب من التساؤل نحو الإجابة ومن المشكلة إلى الحل الممكن، وفق خطة منهجية واضحة، يضعها الباحث، ويلتزم بها ويحاول تنفيذها مستعينا بالأدوات والتقنيات الملائمة لذلك.

هذا ما ينبغي على الطالب في العلوم الاجتماعية أن يدركه أولا، ثم يتعلمه ويتدرب عليه ثانيا، حتى يستطيع أن يمارس البحث العلمي، على المستوى الأكاديمي والتطبيقي.

نسعى من خلال هذه المحاولة المتواضعة أن نضع بين أيدي طلبة العلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع على وجه الخصوص، مجموعة من المحاضرات تتناول منهج وطرق وتقنيات البحث العلمي، وفقا للمحاور المتضمنة في برنامج وحدة تدريس ملتقى التدريب على البحث للسنة ثانية ماستر، تخصص علم الاجتماع الانحراف والجريمة.

المحور الأول: مفاهيم أساسية في البحث العلمي

المحاضرة الأولى: العلم، البحث العلمي والمنهج

1- العلم:

كلمة "علم" لم تكن دوما وبشكل متواصل بالمعنى والدلالة التي هي عليه في ايامنا. في الفكر اليوناني نجد "أرسطو يؤكد انّ "العلم يتعلق بالضروري والأزلي" في حين يرى أفلاطون أن العلم هو "أعلى درجات المعرفة". في القرن الوسيط، اعتبرت الحقيقة العليا ذات طابع ديني. وحسب "لالاند" في اللسان الثيولوجي، لفظة "علم" تشير إلى معرف الله بالعالم. وظلّت كلمة العلم رهن التفكير الديني ثم الوجودي إلى غاية القرن السابع عشر، حيث لاحت في الأفق فكرة مناهج وخطوات التفكير، التي بموجبه انتقلت الهيمنة على فكرة العلم من الميتافيزيقا لصالح نظرية المعرفة.

في القرن الثامن عشر، شهدت الكلمة تطور على مستوى المعنى والدلالة، واصبحت تشير إلى "إستخدام البرهنة على ما نتحقق منه. بمعنى استنتاج مبادئ مؤكدة وغير قابلة للتغيير عن طريق نتائج مشروعة" فيما بعد وجراء الكثير من التحولات والثورات على مستوى التفكير في الأشياء بالخصوص مع صعود الفلسفة الوضعية، بدأت كلمة العلم تقترب من أخذ المعنى الذي هي عليه اليوم. حيث اكتسبت خصائص وميزات ما نسميه بالعقل العلمي أو الروح العلمية (L'esprit scientifique)، الطريقة والأسلوب الذي نعرف به (منهج المعرفة) عوض ما نعرفه (موضوع المعرفة). وعن هذه المرحلة يطالعنا "كارل جاسبيرس" بتعرف للعلم يقول فيه: "العلم هو المعرفة الممنهجة التي يعتبر مضمونها وبطريقة ملزمة، مؤكدا ومقبولا عالميا في نفس الوقت". سمح هذا التعريف العام للكثير من الفروع والميادين المعرفية، بالمطالبة بلقب العلم. وهو ما

افرز العلوم القانونية والعلوم الاقتصادية والعلوم الاجتماعية والانسانية وغيرها من العلوم التي أصبحت تنافس علوم الطبيعة وتتقاسمها مناهجها ومنطقها في البحث.

يتمثل العلم لنا باعتباره مجموعة من المعارف والأبحاث تتوفر على درجة كافية من الوحدة والعمومية، وتسمح لأولئك الذين يمارسونه بالوصول إلى خلاصات ونتائج متوافقة بعيدة عن أن تكون وليدة الاتفاقات التعسفية، أو الرغبات والمصالح الفردية المشتركة، وإنما وليدة علاقات موضوعية يتم اكتشافها تدريجيا والتحقق منها عن طريق مناهج التحقيق".

تشير لفظة العلم حسب أحد المهتمين بقضايا البحث العلمي، إلى أربعة معاني:

المعنى الأول: العلم باعتباره معرفة.

المعنى الثاني: العلم باعتباره موضوع البحث أو المعرفة. كأن نقول هذا موضوعا من مواضيع العلم، أو هذا الموضوع من اختصاص العلم.

المعنى الثالث: العلم باعتباره المنهج الذي من خلاله نحصل على المعرفة العلمية.

المعنى الرابع: العلم باعتباره الذات العارفة أو الروح العلمية.

كل هذه العناصر المترابطة في سياق مسعى التفكير العلمي، تأخذ معناها ودلالاتها من العلم باعتباره العنصر الناظم للعلاقة بينها. فحين نتحدث عن العلم باعتباره نشاطا أو فعلا، لا بدّ من حضور هذه العناصر الأربعة.

2- **البحث العلمي**:

البحث العلمي أولا وقبل كل شيء هو مسار أو مسعى عقلاني يسمح بملاحظة الظواهر، ومعالجة المشاكل، والحصول على إجابات دقيقة، من خلال تطبيق المنهج العلمي واستخدام أدوات وتقنيات التحقيق. يتميز هذا المسعى بكونه عملية منتظمة وتقوم على الصرامة، ويدفع نحو انتاج أو تحصيل معارف جديدة. بعبارة أخرى البحث العلمي هو مسار إجرائي منتظم في جمع المعطيات القابلة للملاحظة والقابلة للإختبار انطلاقا من التجربة الحسية.

البحث العلمي نشاط يسعى دوما نحو اكتشاف المجهول، وتعرية الأشياء العناصر الكامنة في الظواهر، والتعرف على القوانين والمبادئ التي تتيح فهم وتفسير الأشياء والوقائع، على غرار الوقائع الاجتماعية.

في هذا الصدد ينبغي دوما التذكير بمقولة "غاستون باشلار" أين يلّح على أن العلم لا يتحقق إلاّ بالكشف عن المخفي. (il n'ya de la science Que du caché).

جاء في تعريف "وايتني" أنّ "البحث العلمي هو استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها". وفي نفس الاتجاه عرفه "بولنسكي" أنه "استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي". وفي نفس السياق يرى أحمد بدرأن البحث العلمي هو "وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حلّ لمشكلة محددة، عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والدلّة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة".

تتفق جميع التعاريف التي جاءت بخصوص مصطلح **البحث العلمي**، سواء التي اتينا على ذكرها أو التي لم نذكرها وهي كثيرة، على أن البحث العلمي بالدرجة الأولى يعتبر فعلا أو نشاطا "علميا" يتميز عن أي نشاط انساني آخر. لكونه نشاطا متمركزا على هدف يمكننا أن نعتبره استراتيجيا، وهو انتاج المعارف الجديدة أو تجديد المعارف المتوفرة حول الظواهر في إطار السعي نحو الوصف والفهم والتفسير والتنبؤ.

لكن أهم تعريف للبحث العلمي في نظرنا، هو ما جاء على لسان أحد كتاب مناهج البحث، ضمن حوار جرى بينه وبين أساتذه في منهجية البحث. يقول طلب مني الأستاذ ذات مرة تعريف "البحث"، فلما حاولت أن أتذكر ما قرأته في مراجع مناهج البحث العلمي. قال له: لا تعقد التعريف. إنّي لو سألتك عن شيء هو أمامك، هل سوف تفعل؟ قال: قلت لا لأنّه سهل الإدراك. ثم سأله: لو طلبت منك أن تبحث عن شيء معدوم هل ستفعل؟ قال: قلت لا جدوى من البحث عن المعدوم.

قال: إذا تبحث عن ماذا؟ قال: قلت عن شيء موجود ولكنه صعب الإدراك.

قال: هذا هو البحث في أبعد معانيه..

المنهج La Méthode

يقول "جورج دوميزيل: "في كل مرة نبدأ فيها بحثا ما، نجد أنفسنا مرغمين على ابتكار منهج معين. إني لا أومن بالمنهج إن هو لم يكن بالمعنى العام لقواعد مماثلة لتلك التي وضع ديكارت. إنه يرغمنا على أن لا نهمل أيا من الأمور". كما أن كل بحث خاص هو قبل كل شيء بحث في المناهج، حيث أن دور الباحث هو بالدرجة الأولى اختيار ووضع المناهج اللآزمة لتقييم وتعيين وعدّ المتغيرات والمؤشرات التي تكون موضوع دراسته.

ماذا يعني المنهج؟

من حيث الاشتقاق اللغوي، النهج والمنهج والمنهاج بمعنى واحد وكلها ألفاظ تشير إلى الطريق البين، الواضح، الذي يوصل إلى الغاية المرجوة بسهولة ويسر. ويعود أصل هذه الألفاظ في اللّغة إلى الجذر، نَهَجَ وأَنْهَجَ بمعنى وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. جاء في التنزيل الحكيم قوله تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" (المائدة: 48)، والنهج هو الطريق المستقيم، والمنهاج هو الطريق المستمر. وطريق ناهجة أي واضحة.

من حيث الاصطلاح وعلى الرغم من أنّ لفظة "منهج" مجردة لا تخرج عن مدلولاتها اللّغوية، التي هي: الطريق، والسبيل،.. لكن بإضافته إلى البحث لتصبح "منهج البحث" تصير حاملة لدلالة علمية جديدة، تعود في نظر الكثير من الدارسين إلى القرن السابع عشر الميلادي، الذي شهد جهود كل من "فرانسيس بيكون" و"كلود بيرنار" وغيرهما، من الذين ربطوا بين منهج البحث والتجربة ربطا مصطلحيا. فأخذت لفظة "منهج" دلالة جديدة تعني: "الطرق المؤدية إلى كشف الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة. ويلخص محمد سعيد

فرح هذا التعريف ضمن كتابه، لماذا؟ وكيف تكتب بحثا اجتماعيا، بقوله: "المنهج هو المنطق الذي يقوم عليه البحث، وكيف ندرس المشكلة".

تستخدم لفظة "المنهج" ضمن قاموس البحث العلمي لدينا كناطقين باللغة العربية كترجمة للكلمة الأجنبية (La Méthode)، بمعني الطريق أو الأسلوب والكيفية التي يصل بها الباحث أو العالم إلى نتائجه..

جاء ضمن إحدى المحاولات أنّ ديكارت عرّف المنهج بقوله: "أنا أعني بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة إذا رعاها الإنسان مراعاة دقيقة، استطاع أن يصل بذهنه إلى اليقين".

وجاء في مؤلف لـ عمر أكتوف، أنه من أجل ادراك الأهمية القصوى للمنهج في العلم، يكفينا أن نذكر بأن كل فرع أو حقل يريد أن يستقل بذاته، ينبغي أن يتوفر على موضوع خاص يتولى دراسته والاهتمام به، ومنهج من أجل البحث في هذا الموضوع. وفي هذا الإطار يعرف المنهج على أنه "المسار المنطقي الذي يتبعه العلم، اي مجموع الإجراءات الخاصة المطبقة كي يكون مسار البرهنة والتنظير واضح ولا يقبل الجدل."

ويستعرض في ضوء هذا التعريف أنواع المناهج كما يلي:

المنهج الاستقرائي، المنهج الاستنباطي، المنهج التحليلي، المنهج العيادي، المنهج التجريبي، والمنهج الاحصائي.

أسئلة:

أعطي تعريفك الشخصي للعلم توالف فيه بين العناصر الأربعة.

"البحث العلمي فعل استراتيجي". ما الشيء الذي يجعله كذلك؟

"في كل مرة نبدأ فيها بحثا ما، نجد أنفسنا مرغمين على ابتكار منهج معين..." ما تعني هذه المقولة وإلى أي مدى هي صحيحة؟

المحاضرة الثّانية: التفسير العلمي

يعدّ التفسير وظيفة من وظائف العلم وهدف من أهداف البحث العلمي. بل إنّ مصطلح التفسير هو المصطلح الأكثر استخداما في مجال البحث العلمي، خصوصا في عصرنا الحالي. الملاحظ في البحوث والأعمال الأكاديمية التي تنجز في شكل مذكرات التخرج ورسائل وأطروحات الطلبة والأساتذة الباحثين، أنها تكاد تكون كلها بحوثا في محاولة تفسير الظواهر والتعرف على الأسباب والعلل.

ارتبط مصطلح التفسير من حيث الاستخدام بنظرية الفيلسوف الأسكتلندي "ديفيد هيوم"(1711-1776) في التفكير العلمي. وذلك في إشارة إلى عملية ربط ظاهرة يراد تفسيرها بظاهرة أخرى، من خلال قوانين عامة. لكن هذا الأسلوب في التفسير تغير مع التطورات التي حصلت في ميدان العلم. وحسب "كارل همبل" فقد أصبح هناك نوعين أو بالأحرى نمطين من التفسير العلمي، التفسير الاستنباطي والتفسير الاحتمالي أو الاستقرائي.

وفقا للنمط الأول تفسر الظاهرة المراد تفسيرها باستنباطها من قانون عام، الذي من سماته الأساسية أنه شامل لكل الحالات التي تقع ضمن مجاله، دون استثناء. كما هو الشأن في تفسير سقوط الأجسام، انطلاقا من قانون الجاذبية.

يقتضي منطق هذا النمط من التفسير، أنّ تقود المقدمات بالضرورة إلى النتيجة التي تطابقها. في حال المقدمات الصحيحة، النتيجة بالضرورة تكون صحيحة. وإذا كانت المقدمات غير صحيحة فالنتيجة كذلك. ولهذا يعتبر هذا النمط من التفسير هو الأقوى، لأن النتيجة لابد أن تكون صحيحة إذا كانت المقدمات صحيحة.

أما في النمط الثاني، أي التفسير الاستقرائي، فليست كل التفسيرات العلمية تبنى على قوانين كلية عامة، بالنظر إلى وجود حالات لا يمكن أن نصل من خلالها إلى تعميم كلي. الأمر الذي يحصل مع العلوم الاجتماعية، التي تعتبر ظواهرها أو موضوعاتها من ضمن هذه الحالات التي يتعذر في الغالب إن لم نقل دوما، الوصول إلى التعميم. وهذا ربما هو السبب الذي جعل الكثير من علماء الاجتماع خصوصا يتحفظون من استخدام مصطلح القانون، باعتباره مصطلحا لا يليق في نظرهم بطبيعة موضوعات هذه العلوم، ويفضلون بدله مصطلح العلاقات. الباحثون في علم الاجتماع على غرار زملائهم في الحقول الاجتماعية الأخرى يلجؤون عادة للتفسير الاستقرائي أو الاحتمالي، الذي يستخدم التعميمات التي تعبر إما عن معدل رياضي بين الظواهر (نسبة n من $x = y$)، أو التعميمات التي تعبر عن النزعة أو الميل في صيغة (أ تميل إلى أن تسبب ب).

إن الاستنتاجات التي نصل إليها من خلال حالات معينة لا يمكن أن تكون مؤكدة بشكل كامل. وهذا يعتبر قصورا في التفسير الاستقرائي. ومن هنا نشأ التشكيك في علمية العلوم الاجتماعية والانسانية وعدم الوثوق في نتائج البحوث والدراسات التي تجرى ضمنها. وجاءت جهود علماء الاجتماع المؤسسين في معظمها كردة فعل أمام هذه المزاعم، محاولة إرساء قواعد لمقاربة تفسيرية للظواهر الاجتماعية. وهو ما كان على يد " أوغست كومت" و"إميل دوركا يم". هذا الأخير الذي اجتهد في وضع قواعد منهجية لدراسة وبحث الظواهر الاجتماعية بعيدا عن الذاتية وفي منأى عن النزعة التأملية، باستخدام التجريب والاحتكام إلى الجبرية الاجتماعية التي تستند إلى الحتمية والعمومية والشمول والقهر الاجتماعي، والتخلي عن التصورات المسبقة والتخلص من معارف الحس المشترك. ويقول دوركا يم في هذا الصدد:" إنّ القاعدة التي ننطلق منها لا تفترض أي تصور ميتافيزيقي، ولا تتضمن أي نظر تأملي في كنه الموجودات. إنّ ما تطلبه هو أن يضع عالم الاجتماع نفسه في وضع فكري شبيه بالوضع الذي يكون عليه الفيزيائيون والكيميائيون والفيسيولوجيون، حينما ينخرطون في استكشاف منطقة مجهولة عن ميدانهم العلمي. فعلى عالم الاجتماع، بدوره وهو يحاول النفاد إلى المجتمع أن يعي بانه ينفد إلى عالم مجهول، وعليه أن يشعر بانه إزاء وقائع غير منتظرة مثلما كانت عليه وقائع الحياة قبل أن تتشكل البيولوجيا كعلم."

البحث في العلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع بشكل خاص، يسعى دوما إلى تجاوز مجرد الوصف البسيط والسطحي للظواهر الاجتماعية، (حتى وإن كان الوصف العلمي الدقيق ليس بالمهمة السهلة)، وإنما نحو تفسيرها. وتفسير الظواهر في المعنى العام والتطبيقي يقتضي وضع هذه الظواهر في علاقة مع ظواهر أخرى، مع نظام من الأفعال، سياق اجتماعي كلي، مجموعة تحولات تاريخية، معنى أو تمثل مخفي في ذهن من كانوا وراء وجود هذه الظواهر، استراتيجيات الأعوان في إطار تنافس، وظائف ينبغي أن يضمنها النظام الاجتماعي. بالمختصر، تفسير ظاهرة يعني إخراجها من فوريتها والعزلة التي تنطوي عليها" من خلال هذه العلاقة فقط يمكن أن تصبح الظاهرة قابلة للتفكير العلمي أو التعقل. فالانتحار كظاهرة، لم تكن لتكون موضوعا للعلم ولا قابلة للفهم والتعقل إلا مع الجهود التي بدلها إميل دوركا يم، في هذا الاتجاه، واضعا اياها في علاقة مع مفهوم أو ظاهرة أخرى هي، درجة الانسجام أو التناغم الاجتماعي.

والجرائم والانحرافات التي تنتشر في المجتمع المعاصر لا يمكن ان تكون ظواهر مفهومة ومتعقلة، إن لم توضع في علاقة بالتحولات القيمية التي تتعرض لها المجتمعات، أو الفردانية المفرطة للأشخاص والطموح المتزايد نحو الكسب والتملك، أو التفكك الحاصل على مستوى الأسرة والاختلال الوظيفي الذي أصاب المؤسسات. وغيرها من العوامل.

"التفسير لا يعني التعريف، التفسير يعني الإجابة على السؤال لماذا؟"، ولهذا فهو يقوم غالبا على مبدا الضرورة. والضرورة إما أن تكون سببية(causale)، أو تطبيقية(pratique) أو منطقية (logique). تكون في الحالة الأولى عندما تفسر واقعة أو سلوك انطلاقا من علاقة السبب بالنتيجة أو الأثر. بحيث يتم اعتبار ما يلاحظ وتأويله على أنه نتيجة لسبب او أسباب سابقة على الملاحظة. في الحالة الثاني يتم تفسير واقعة أو سلوك انطلاقا من علاقة فعل بنتيجته. ما نلاحظه إذا هو محصلة لإرادة ما أو فعل أو تصرف متعمد من اجل بلوغ هدف خاص أو وضعية معينة. أما في حالة الضرورة المنطقية، فالتفسير يقوم على تناغم العلاقات بين العناصر.

طرق وأساليب التفسير: الاستقراء والاستنباط

يقوم التفكير العلمي عل نمطين أساسيين بقدر ما يبدو مختلفين إلا أنهما متداخلين ومتكاملين في الأخير. مهما التفكير بطريقة الاستنباط والتفكير بطرقة الاستقراء. وقد سبق أن تحدثنا عليهما في الدرس الخاص بالتفسير العلمي لأنهما يعتبران ايضا اسلوبين في تفسير الظواهر.

الاستنباط (La déduction): ويعني استخدام قواعد المنطق للوصول إلى مجموعة من المقدمات" المنطقية"، التي يتعين أن تترتب عنها نتائج بعينها. ويبدأ الاستنباط بنظرية ثم ينتقل إلى الفروض أو الفرضيات المشتقة منها. ويشرع بعد ذلك في اختبار الفرضيات من خلال التنبؤ وعمليات الملاحظة. وتسمى هذه الطريقة في التفكير ايضا بالمنهج الاستنباطي الفرضي (Méthode Hypothéco-déductive). ويعتبر الكثير أنّ هذا الأسلوب في التفكير، هو الأسلوب العلمي بالمعنى الحقيقي للكلمة، لأنه يركز بالدرجة الأولى على اختبار الفروض.

الاستقراء (L'induction): وهو عكس الاستنباط، إذ يبدأ من ملاحظات معينة، تكون نواة لصياغة تعميمات إمبريقية، تعتبر أساس بناء النظرية. ويعد الاستقراء التحليلي الأكثر شيوعا داخل الدراسات الكيفية في حقل علم الاجتماع. يقتضي الاستقراء باعتباره منهجا في التحليل والبحث، فحص كل حالة في البحث من اجل التحقق من الفرضية. إذ يحاول الباحث الذي يستخدم هذا الأسلوب، صياغة فرضيات عامة من وافع ملاحظة حالات أولية. ثم يتحول إلى فحص الحالات الأخرى بهدف التعرف على الحالات النافية، ثم يعيد صياغة الفرضيات بما يتلاءم مع هذه الحالات النافية. وتنتهي هذه العملية عندما لا تعد هناك حالات أخرى متعارضة. وعندئذ يكون من الممكن صياغة التعميمات.

يرتبط نمط التفكير العلمي الاستنباطي والاستقرائي بشكل مباشر بالفرضيات، باعتبار أنّ صياغة الفرضية في البحث العلمي بشكل عام، يندرج إمّا ضمن المقاربة "الفرض استنباطية" (Hypothéco-déductive) وبالتالي يتم التصريح بعلاقات بين مفاهيم، ثم يتم التحقق منها من خلال الوقائع هل هي صحيحة أم لا. أو

يندرج ضمن المقاربة الثانية، أي " الفرض استقرائي" (Hypothéco-inductive)، أين يتم التركيز على الوقائع والصعود نحو مبادئ أو مفاهيم او نظريات. هذا يتوقف على اختيار الباحث، في اتباع نمط التفكير النازل من النظرية إلى الميدان، أو نمط التفكير الصاعد من الميدان إلى النظرية. لأن الأمر سوف يختلف كلية. النمطان لا يتعارضان فيما بينهما، لكن كل نمط له أهدافه الخاصة، إجراءاته ومناهجه وأدواته في التحليل. والشكل الموالي يمثل اتجاه كل نمط.

الاستقراء Induction	الاستنباط Déduction
النظرية ↑ الملاحظة	النظرية ↓ الملاحظة

سؤال:

هناك اختلاف واضح بين منطلق اميل دوركا يم في التفسير ومنطلق ماكس فيبر. لمطلوب منك التوضح أكثر إن كنت توافق على هذا الادعاء؟

المحاضرة الثالثة: النظريــة والمفاهيم

تكتسي النظرية وما تتضمنه من مفاهيم أهمية بالغة في العلم وانتاج المعرفة العلمية وتطورها. وهذا ما توضحه العبارة التالية التي تعمدنا نقلها باللغة التي جاءت قيلت بها من قبل صاحبها، تجنبا لأي إخلال قد يقع بالمعنى الدقيق والصريح لها عند ترجمتها.

« Une science ne naît pas de la définition d'un objet, ni de la rencontre d'un objet, ni de l'imposition d'une méthode. Elle naît de la constitution d'un corps de concepts, avec leurs règles de production. De ce fait, le développement d'une science c'est la formation des concepts et des théories de cette science ».

إن الممارسة الحقة والصحيحة للبحث العلمي السوسيولوجي، باعتباره تفكيرا علميا في الظواهر الاجتماعية، وسعي نحو انتاج معرفة علمية، قائمة على الاستحضار الدّائم للتداخل والترابط بين البناء النظري والتجربة الميدانية. فلا يمكن تصور عملا ميدانيا من دون سند نظري ورؤية معرفية يتبناها الباحث ويوظفها في قراءة وتحليل وتصنيف ما يلاحظه في الميدان. كما لا يمكن الحديث عن نظرية علمية دون أن تكون متجذرة في واقع ما ومعبرة عن تجربة معينة. ولهذا يعتبر البحث بمثابة مراوحة (un va et Vien) بين النظري والميداني.

ماذا تعني النظرية؟

في اللغة الأكاديمية، النظري' هي مجموعة من التصريحات العامة، الواصفة لظواهر واقعية. بمعنى استعاري أكثر، النظريات هي بمثابة شباك تستخدم في الإمساك بما نسميه العالم، وجعله عقلاني، قابل للفهم وممكن التحكم فيه. هكذا يشبهها "كارل بوبر":

« Les théories sont des filets destinés à capturer ce que nous appelons le monde, à le rendre rationnel, l'expliquer et le maitriser »

في الكتب المنهجية نجد جملة من التعاريف متنوعة ومتكاملة في نفس الوقت:

فموريس أنجرس يعرفها على أنّها: "مجموعة مصطلحات، تعريفات وافتراضات، على علاقة ببعضها، تقترح رؤية نسقية منظمة لظاهرة ما، بهدف تأويلها والتنبؤ بها".

أما ماري فابيان فورتين، ترى أنها " مجموعة من التعميمات بخصوص مفاهيم وفرضيات تحدد علاقات بين متغيرات، بغية تفسير الظواهر والتنبؤ بها".

بمعنى مبسط، النظريات هي بناءات ذهنية تأخذ شكل أنساق مفهومية، تستخدم في تفسير الظواهر الواقعية. وبالضبط لكونها أداة تفسير لظواهر وأحداث الواقع، تعد النظريات الأدوات التي تعمل على

تنظيم تمثلاتنا لهذا الواقع. هذا ما يمكننا فهمه من "**إيز ابيل. لفرناس**" عندما قالت: "الاجتماعي، المجتمع، السياسي، الواقع بشكل عام لا يمكن أن يرصد إلاّ من خلال رؤية مبنية، تعرف كيف تنظم الظواهر من النظرة الأولى. وفي هذا تكون النظرية بمثابة الإطار المرجعي الذي يعطي معنى ويسمح للملاحظ من فهم subsumer أو تفكير أجزاء أو جوانب الموضوع ضمن كليته. بدون هذا التبادل في العلاقات تبقى الظاهرة غير قابلة للفهم. أو تجعل الباحث يغرق في مد وجزر، أي تجادب للمعلومات تبدو للوهلة الأولى كلها مقبولة. فالنظرية إذن هي بمثابة علم أو فن تركيب الواقع، الأداة التي بفضلها نعيد للواقع منطقه، وصياغته ضمن مبدأ الانتظام والتناسق، ومبدأ تلازم أو تتابع العلل والنّتائج ordonnancement de causes et d'effets".

ويعرّفها "بارسونز"، أنها "نظام من القوانين" في حين يرى "مرتون" أن النظرية السوسيولوجية تتكون من "مفاهيم مرتبطة منطقيًا ببعضها البعض، وليس ذات نطاقً عالميً ولكنها محدود بشكل متعمد. يأمل المرء أن يشتق منها عددًا كبيرًا من أشكال السلوك الاجتماعي التي يمكن الوصول إليها الملاحظ".

بالنسبة إلى Galtung، "النظرية هي مجموعة من الفرضيات التي يتم تنظيمها من خلال علاقة متضمنة أو استنتاج".

بالنسبة إلى "وات" و"فان دن بيرج"، "النظرية هي مجموعة من المفاهيم المترابطة من خلال مقترحات فرضية أو نظرية توضح ما يجب أن يحدث منطقيًا".

أما ريمون بودون فيرى "أن للنظرية في العلوم الاجتماعية معنيين، معنى واسع ومعنى ضيق. بالمعنى الضيق، تتناسب مع مفهوم نظام الافتراضات الاستنتاجية. المعنى الواسع يغطي، بالإضافة إلى مفهوم النظرية بالمعنى الضيق، ما لا يقل عن ثلاث فئات متميزة من النماذج، مثل النماذج النظرية أو التناظرية، والنماذج الرسمية والنماذج المفهومية". ومن هذا المنطلق ترتبط النظرية بمفهوم النموذج، الذي لا يقل هو الآخر أهمية في مجال التفكير والبحث في العلوم الاجتماعية، والعلم بشكل عام.

وظائف النظرية الاجتماعية:

يمكننا استجلاء وظائف النظرية الاجتماعية من خلال الأبعاد التي أشار إليها "إيان كريب" ضمن كتابه: "النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى ها برماس":

البعد المعرفي: النظرية وسيلة لإنتاج المعرفة عن الواقع الاجتماعي. ووعاء يحمل مجموع الأدوات التي تمكن الباحث الاجتماعي من تملّك هذا الواقع وجعله قابلا للفهم والتفسير.

البعد العاطفي: النظرية تجسد خبرات وتجارب المنظر أو شخص الباحث. وتعبر عن مشاعره وهواجسه. ولهذه الأخيرة أهمية في الدفع بالباحث في اتجاه معين في البحث، وتحديد اختياراته.

البعد التأملي: باعتبار العلوم الاجتماعية ونظرياتها، كلاهما جزء من الحياة بالضرورة، كما أنهما طريقة في فهمها.

البعد المعياري: النظرية، أي نظرية تقوم بوصف الواقع لابد أن تطرح في ثناياها تصريحا أو تلميحا (افتراضات) عما يجب أن يكون عليه ذلك الواقع.

تلخيصا لما سبق يمكن القول أنّ النظرية تحدد مسار البحث واتجاهه، وتدفع بالباحث نحو تناول الموضوعات التي تستحق البحث أكثر من غيرها. كما تحدد النظرية الثغرات في معارفنا، فالباحث لا يمكنه معرفة ما ينقصه إزاء أي موضوع يسعى لتناوله، إلاّ إذا عرف أولا ما هو متوفرا بخصوص هذا الموضوع. وهذا ما يمكن أن تتيحه النظرية، باعتبارها تلخص وتنظم المعرفة المكتسبة عبر قوانين وفروض ومفاهيم، وصولا إلى التعميمات الامبريقية واتساق العلاقات بين القضايا والفروض. هذا فضلا عن مهمتها في ترشيد العمل الميداني وتوجيهه.

المفاهيم:

المفاهيم جزء لا يتجزأ من النظرية، بل تعتبر الجزء المركزي لها. إذ لا يمكن الحديث عن أي نظرية من دون ذكر المفاهيم التي تبلورت هذه النظري على أساسها. بعبارة أخرى المفاهيم هي الأدوات التي ينبغي أن تمتلكها إي نظرية حتى يتسنى لها أن تصبح مدخلا في التحليل وإطارا مرجعيا في الفهم والتفسير. ولا يفوتنا هنا أن نعيد تكرار المقولة التي جاءت على لسان أستاذ المنهجية يوم كنا في المرحلة الجامعية الأولى من التكوين، وظلت ومازالت راسخة في أذهاننا إلى اليوم، وهي: "أن البحث هو البحث عن أدوات البحث" ودائما ما يستطرد قائلا والمفاهيم من بين أهم هذه الأدوات.

ماذا تعني المفاهيم؟ تجيب "مادلين غرافيتز" على هذا التساؤل بقولها: " هي ليست الظاهرة في ذاتها، هي تجريد، فكرة..." وباعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة يخضع المفهوم إلى حركة مزدوجة، من جهة هو يمثل نشاطا تطبيقيا، محسوسا، عبر ملامسة الواقع في شكل عناصر تصف وترصد بالملاحظة. ومن جهة ثانية، فعلا تجريديا يدرك من خلاله العالم واشيائه.

تعتبر المفاهيم إلى جانب الفرضيات العناصر الأساسية والأدوات المركزية في النظرية العلمية. ولا يمكن أن نتحدث عن مفهوم مؤسس إلاّ عندما يعرّف داخل لغة أو خطاب علمي، أي ضمن نظرية علمية مؤكدة. ومن اجل ان يستجيب لقواعد ومتطلبات العلم، ينبغي أن يكون المفهوم على مستوى عالي من الدقة والوضوح. ولهذا فهو دوما ما يكون وليد جهود متواصلة يبدلها العلماء والباحثون، من أجل إضفاء التعريف الدقيق، الذي سوف يكسبه القدرة على الفهم العميق والتفسير الصحيح للأشياء والظواهر. ولهذا السبب

نقول عن المفهوم بأنّه حصيلة بناء يقوم به رجل العلم من خلال عزل وإبعاد بعض السمات الخاصة للوقائع المدروسة.

تصنف المفاهيم عادة ضمن مسار البحث العلمي، إلى مفاهيم نظرية أو تصورية ومفاهيم إجرائية. المفاهيم النظرية هي تعريفات مجردة ومؤقتة، سرعان ما يتم تحديدها وضبطها وفقا لأهداف البحث. والمفاهيم الاجرائية تفرزها التصريحات النظرية (الفرضيات) ويتم توظيفها في الملاحظة الامبريقية وقياس الظواهر والعلاقات بينها.

حسب "ليتلى جون"، " ينبغي أن نفصل المفاهيم والتعريفات، لأنه بواسطة هذه الأخيرة، يصبح ممكنا فهم ما يلاحظ الباحث وما يعتبره مهما في بحث معين. النظرية الجيدة، يجب ألاّ تبرز فقط المفاهيم وتعريفاتها، وإنما يجب عليها أن تحدد بدقة وتفسر العلاقات بين المفاهيم ولماذا هذه العلاقات".

سؤال تطبيقي:

إذا حاولت ضمن بحث تنجزه تفسير ظاهرة عصابات الشوارع وارتأيت توظيف النظرية التفاعلية الرمزية، ماهي المفاهيم الأساسية والفرضيات التي تجد نفسك مضطرا لتوظيفها؟

المحور الثاني: خطوات التفكير العلمي.

المحاضرة الرابعة: المراحل الكبرى والخطوات الصغرى

يعدّ التصميم الذي اقترحه "ريمون كيفي" و"فان كومبنهودت"، ضمن عملهما الذي أصبح شهيرا لدى كتاب منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، من أهم التصاميم المعتمدة في البحث الاجتماعي، باعتباره تفكيرا علميا بالدرجة الأولى.

يقوم هذا التصميم على ثلاثة مراحل كبرى، نستعرضها بإيجاز كالتالي:

1/ القطيعة: مع الأحكام القيمية ومعارف الحس المشترك أي المعرفة العامية والتصورات الاجتماعية. وهذا من خلال إجراءين:

- **السؤال**، أي سؤال الانطلاق
- **الاستطلاع**، أو قراءة ومطالعة التراث المعرفي حول الموضوع.
- **بناء الاشكالية.**

2/ البناء:

- **بناء نموذج التحليل**، من خلال تحديد وتفعيل المفاهيم النظرية وترجمة المقترحات النظرية إلى فرضيات امبريقية عبر متغيرات قابلة للملاحظة والقياس في الواقع.

3/ الملاحظة: أين يتم اختبار فرضيات البحث من خلال:

- **جمع المعطيات**
- **تحليلها وتفسير النتائج.**

ومن أجل التوضيح أكثر يمكننا أن نستعين بالمخطط التالي الذي يوضح لنا بأكثر تفصيل الخطوات التي يتضمنها هذا التصميم، ليس كتصميم لمسار البحث باعتباره تفكيرا علميا. وانما باعتباره مسارا يحدد جميع الخطوات التي يجب أن يمر بها البحث في أي موضوع في علم الاجتماع. خصوصا لما يتعلق الأمر بإنجاز مذكرة تخرج.

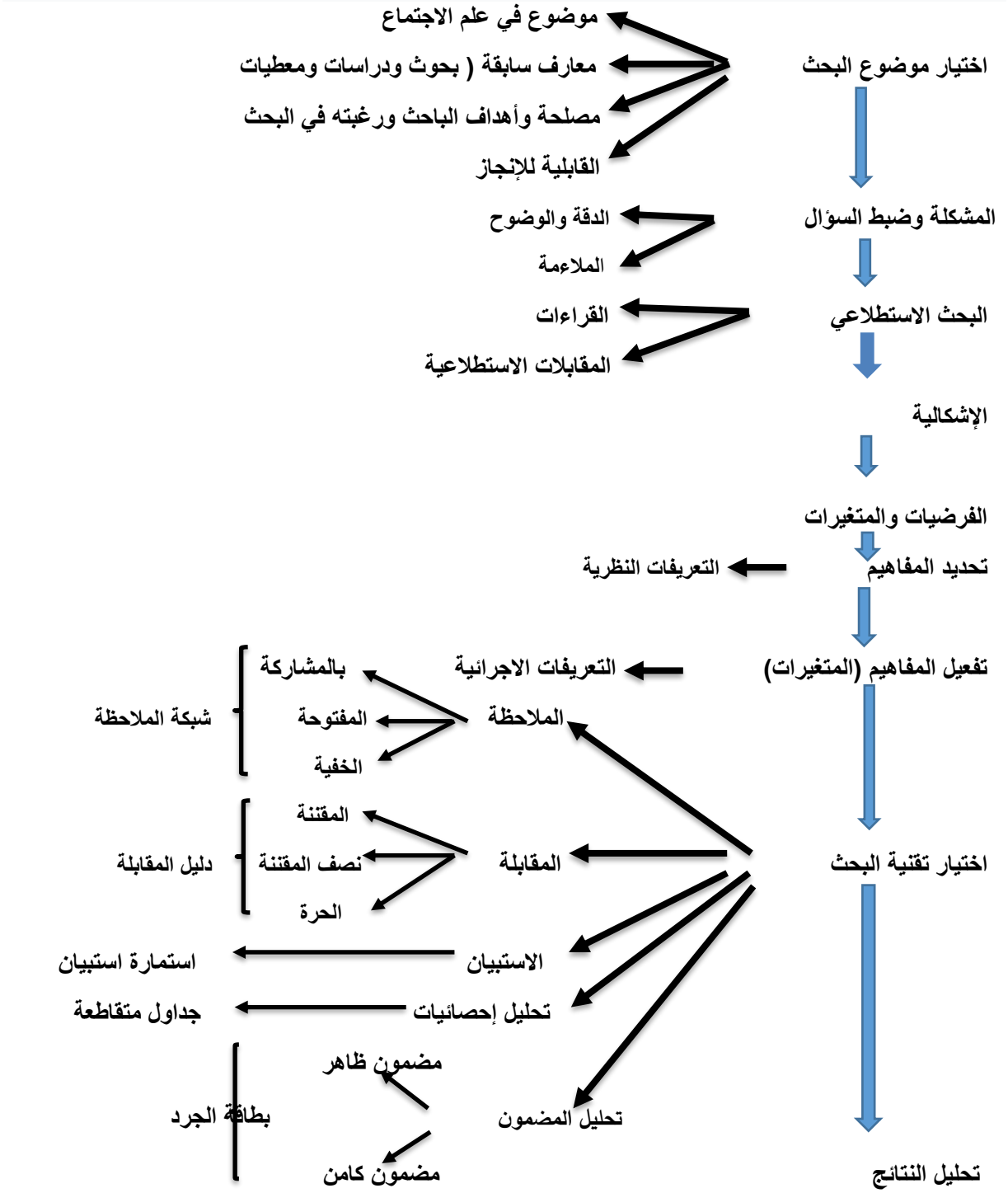
اختيار موضوع البحث
موضوع في علم الاجتماع
معارف سابقة (بحوث ودراسات ومعطيات
مصلحة وأهداف الباحث ورغبته في البحث
القابلية للإنجاز
المشكلة وضبط السؤال
الدقة والوضوح
الملاءمة
البحث الاستطلاعي
القراءات
المقابلات الاستطلاعية
الإشكالية
الفرضيات والمتغيرات
تحديد المفاهيم
التعريفات النظرية
تفعيل المفاهيم (المتغيرات)
التعريفات الاجرائية
الملاحظة
بالمشاركة
المفتوحة
الخفية
شبكة الملاحظة
اختيار تقنية البحث
المقابلة
المقننة
نصف المقننة
الحرة
دليل المقابلة
الاستبيان
استمارة استبيان
تحليل إحصائيات
جداول متقاطعة
تحليل المضمون
مضمون ظاهر
مضمون كامن
بطاقة الجرد
تحليل النتائج

المحاضرة الخامسة: موضوع البحث، ضبط المشكلة وطرح السؤال

أولا: اختيار موضوع البحث

إنها عملية على درجة عالية من الأهمية ضمن مسار البحث، لكن يجب على الباحث ان يكون حذرا من أن تطول الفترة التي تستغرقها هذه العملية.

إن اختيار موضوع البحث في إطار إعداد المذكرات والرسائل الجامعية، لا ينبع من مجرد صدفة أو عاطفة أو حتى من تفكير بارد. بيد أنه حالما يتم الاختيار يصبح هذا الموضوع نقطة اهتمام مركزية. وفي اللحظة التي يحاول الباحث أن يجد للموضوع موقعا في المكان والزمان وبين التيارات الفكرية السائدة حوله، هذا يعني أنه بدأ يدرك المستوى الذي يشكل فيه موضوع البحث جزءا من كل، ينبثق عن حقل أوسع، وأن التساؤل الذي الذي سيطرحه يجد مكانه ضمن تساؤلات أوسع. مما يستلزم على الباحث مزيد من تمييز وتوضيح وتحديد وحصر، من أجل دراسة أعمق.

إن اختيار الموضوع يجب أن يكون بوعي وادراك من الباحث، بأن ما يختاره للبحث مهما كانت دوافعه، فلن يكون في الحقيقة إلاّ مشكلة جزئية ضمن سياق عام من إشكاليات في حقل معرفي أو تخصص علمي معين. وعلى القدر الذي يبلغه وعي وادراك الباحث لهذه الحقيقة، يكون وعيه بوجوب رسم حدود المشكلة التي يتعين عليه معالجتها. ويزداد يقينه بأنّ ما سوف يصل إليه من معارف ومعطيات كنتائج للبحث، إن هي إلا إضافة إلى الحصيلة المتوفرة قبلا. وأن هذه الإضافة مهما كانت لن تكون ذات قيمة إلاّ ضمن سياق المعارف الموجودة حول الموضوع أو المشكلة المدروسة.

من هذا المنطلق، يتعين على الباحث عندما يقرر بخصوص الموضوع الذي سوف يدرسه، أن يشرع مباشرة في استطلاع ساحة الإنتاج الفكري والمعرفي ضمن حدود التخصص، مفتشا عن الثغرات والفراغات العلمية والمعرفية التي مازالت قائمة حول الموضوع. ومستكشفا الأسئلة التي لم يجب عنها بعد. ومن ثم يحاول أن يحصر موضوعه في البحث في اتجاه هذه الفراغات والأسئلة. وهذا من شأنه أن يجنبه هدر وقته وجهوده ربما في إعادة انتاج ما هو موجود أصلا. أو البحث عن إيجاد إجابة لسؤال لم يعد مطروحا. وهذا يتنافى بشكل كلي مع مسوغات البحث العلمي وأهدافه. إذ المسوغ المعرفي الأول والأخير في أي نشاط بحث علمي، هي المشكلة التي تترجم بالضرورة إلى السؤال. ولا بد أن تكون المشكلة حقيقية واقعية، غير وهمية. وعليه يكون السؤال علميا يستحق البحث. يتعين على الباحث أن يستحضر دوما حقيقة أنّ قصة المعرفة العلمية وتراكماتها عبر التاريخ، إنما هي نتاج الجهود التي بدلت من قبل الباحثين والعلماء للإجابة عن أسئلة تم

طرحها. وهذا نقرأه في نص لغاستون باشلار:" بالنسبة للروح العلمية أو العقل العلمي، كل معرفة هي إجابة عن سؤال لو لم يكن هناك سؤال لما كانت هناك معرفة علمية.."

فكرة البحث ومصادرها:

قبل البدء في مشروع البحث الفعلي، يجب أن يكون لدى الباحث فكرة عامة عن الموضوعات التي من المحتمل أن تثير فضوله والرغبة في معرفة أكثر وفهم أعمق. يتعين على الباحث أن يستجمع قدر الامكان المواضيع التي تبعث على الحيرة والاندهاش في الوسط الاجتماعي. ويستحضر ما أمكنه المسائل التي تتسبب في إزعاجه أو إزعاج الناس من حوله. إنها مرحلة تستوجب أكثر استخدام الخيال الذي يتمتع به الباحث، في محاولة الربط بين ما يحمله الواقع من ظواهر وأحداث وما يخفيه من تداعيات، وبين ما توفر لديه من معارف نظرية ومنهجية تمكنه من قراءة الواقع بعين الملاحظ العلمي اليقظ. وفي سياق محاولة بلورة وامتلاك فكرة البحث، تعد القراءة والمطالعة من بين المداخل التي من شأنها أن تفتح أمام الباحث آفاقا واسعة نحو ما يمكن طرحه ومعالجته. كما لا يمكن أن نغفل عاملا مهما في هذا الصدد، لا يحظى عادة بذكر ولا اهتمام من قبل المشتغلين في حقل المنهجية أثناء تدريسها أو خلال جلسات توجيه وتأطير الطلبة الباحثين. الأمر يتعلق بالتواصل مع الزملاء الطلبة والأساتذة سواء داخل أو خارج المؤسسة الجامعية. فالتواصل والاحتكاك في إطار معرفي علمي مع الفاعلين في الوسط الجامعي، على الأقل ضمن حدود التخصص، من شأنه أن يبقي الطالب على وعي وإدراك لما يجب أن يطرح من اشكاليات للبحث والدراسة: المواضيع المهمة التي تستحق فعلا البحث، والمجالات التي مازالت في حاجة إلى معالجة، والأسئلة التي لم يجاب عنها إلى اليوم، وربما حتى الإجابات التي قد يكون حان الأوان أن يعاد النظر فيها.

إن الصعوبة الكبيرة التي يعاني منها الطلبة الباحثين في إطار انجازهم لمذكرات التخرج، تكمن أساسا في كيفية حصولهم على فكرة واضحة بخصوص البحوث التي هم مطالبون بإنجازها. سجلنا في كثير من المواسم الجامعية أعدادا كثيرة من الطلبة تأخروا في اختيار مواضيع بحوثهم. بل وحتى في حالة تقديم عناوين واقتراحها على الطلبة هناك من ليست له القدرة على تطوير فكرة بحث يشرع من خلالها في بناء خطة أولية. وهذا راجع في الأساس إلى عدم الأخذ بعين الاهتمام كافة الاعتبارات السالفة الذكر، على أنها عوامل من شأنها أن تمد الباحث المبتدئ بفكرة عامة عن موضوع البحث.

ولأهميتها سوف نعيد استعراضها في شكل نقاط

1.التجربة الشخصية والملاحظة:

2. الأدبيات المتوفرة (البحوث والدراسات السابقة)

3.مشكلة حقيقية

ثانيا: مشكلة البحث وسؤال الانطلاقة

ينبغي على الطالب أن يدرك بشكل صحيح، أهمية الدقة التي ينبغي أن تكون عليه المصطلحات والمفاهيم التي نستخدمها في مجال البحث العلمي وخصوصا لما يتعلق الأمر بمذكرة التخرج. وفي هذا الإطار، يجب أن يميز بين موضوع البحث بالمعنى الواسع والعام للكلمة (ou Sujet thème) وهو ما يمكننا أن نعني به ميدان أو مجال أو حقل. كأن نقول موضوع "التنشئة الاجتماعية" وموضوع "الجريمة والانحراف"، إلخ.. وهناك موضوع البحث بالمعنى الضيق للكلمة (Objet)، فنقول أن موضوع بحثنا هو مثلا: وافع التنشئة الأسرية في ظل تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال، أو "جرائم الاحتيال في ظل جائحة كوفيد19".

نلاحظ أنه وقع نوع من الحصر للموضوع، من كونه مجالا واسعا يضم العديد من مواضيع البحث، إلى موضوع جدّ محدد.

منطق التفكير العلمي وابجديات وقواعد البحث تقتضي أن يكون هناك سؤالا يتمحور عليه التفكير ويوجه البحث عبر كافة مراحله. وهذا السؤال ينبغي أن يتعلق بالموضوع (L′ Objet) الذي اختاره الباحث. الأمر الذي يطرح الحاجة إلى عملية حصر ثانية للموضوع في اتجاه المشكلة (Le problème). المشكلة التي لا يمكن أن نعبر عنها في الأخير إلاّ من خلال سؤال (La question). هذا الأخير من شأنه أن يحدد لنا بالضبط ماذا نريد أن نبحث، ماذا نريد أن نعرف، أن نفهم، أن نفسر، أن نصف.

سنحاول في الجدول التالي التوضيح بأمثلة للكيفية التي ينتقل بها الباحث من موضوع البحث في شكله العام إلى إلى السؤال الخاص.

الموضوع ميدان البحث	**موضوع البحث**	مشكلة البحث	سؤال البحث
التنشئة الاجتماعية	وافع التنشئة الأسرية في ظل تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال.	الملاحظ أن الأسرة اليوم تجد صعوبات كبيرة في أداء أدوارها في تنشئة الأطفال جراء الكثير من المتغيرات التي طرحتها تكنولوجيات الاعلام والاتصال في الوسط، على الرغم من أنّ هذه الأخيرة قد	ماهي الأسباب التي تجعل من تكنولوجيات الاعلام والاتصال عائقا أمام الأسرة في أداء أدوارها في تنشئة الأطفال؟

		تكون مساهمتها ايجابية في العملية.	
الانحراف والجريمة	جرائم الاحتيال في ظل جائحة كوفيد19"	يبدو أنّ الظروف التي فرضتها جائحة كوفيد 19 كانت مواتية إلى حدّ كبير لاستفحال ظاهرة الاحتيال في الكثير من الأنشطة والقطاعات.	هل هناك علاقة بين استفحال ظاهرة الاحتيال وبين الظروف التي فرضها الوباء؟

جاء في إحدى المحاولات أنّ : "مشكلة البحث تعتبر بمثابة فراغ أو نقص يتعين تداركه في ميدان معارفنا، بين ما نعرفه وما يتوجب علينا أو نرغب معرفته بخصوص الواقع. المشكلة العلمية تعبر عن نفسها من خلال إحساس بجهل ورغبة في أن نعرف من جهة، وإرادة في معرفة أكثر بالواقع الملاحظ، عن طريق الأسئلة ".

ويرى كل من "ريمون كيفي" و"لوك فان كمبنهودت"، أنه" عندما نتحدث عن مشكلة بحث فالأمر يتعلق بصياغة مشروع البحث على شكل سؤال انطلاق، الذي من خلاله يحاول الباحث التعبير بشيء من الدقة الممكنة عما يحاول معرفته، تفسيره وفهمه أكثر".

أما "موريس أنجرس" فيرى أن "مشكلة البحث هي كلّ ما من شأنه أن يثير تساؤلا، أي كلّ ما يبدو أنه يتطلب الدراسة... وصياغة المشكلة تؤدي إلى طرح تساؤل حول واقع نريد معرفته في إطار يسمح ببحثه امبريقيا.

الملاحظ أن كل هذه المحاولات في إعطاء تعريف للمشكلة، متفقة على ثلاثة عناصر أساسية، تفرض نفسها كعناصر متضمنة بالضرورة في مشكلة البحث .

1 **فراغ معرفي أو إحساس بجهل ورغبة في التعرف أكثر**: فالمشكلة في العلم متصلة دوما بالمعرفة، أي ما يجب علينا معرفته، كما يقول "غا ستون باشلار" ضمن أحد أهم نصوصه المؤسسة لقواعد التفكير العلمي، " إزاء الواقع، ما نعتقد أننا نعرفه يسيء إلى ما يجب علينا معرفته".

2 **الواقع:** المشكلة في العلم هي دوما مشكلة واقعية، أي المشكلة التي يمدنا بها الواقع عندما نلاحظه ونستنطقه، لا شيء آخر.

3 **السؤال:** السؤال هو دوما الصيغة الأخرى، بل الصيغة الأدق والأوضح المعبرة عن المشكلة. ليس هناك بحث دون مشكلة وليست هناك مشكلة بدون سؤال.

يتوقف البحث العلمي باعتباره نشاطا منتجا للمعارف، على طبيعة الأسئلة التي نطرحها بخصوص المشكلات التي تستثير اهتمامنا وتدفعنا للبحث. وعلى قدر قيمة السؤال وملاءمته ودقته، تكون قيمة

المعرفة التي نصل إليها. أليست المعارف المتراكمة إلى اليوم-حسب رأي "باشلار"-عبارة عن إجابات عن الأسئلة التي طرحناها؟

من هذا المنطلق المعرفي، يرى علماء المنهجية والمهتمون بقضايا منهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، أن الخطوة الأولى في مسار أو مسعى البحث متمثلة في طرح السؤال. ولا يمكن لأي نشاط في البحث أن ينطلق قبل طرح السؤال. الأمر الذي دفع بـ" ريمون كيفي" و"فان كمبنهودت" إلى استخدام مصطلح سؤال الانطلاق. فهو سؤال متعدد الوظائف، بحيث يضبط المشكلة وينقلها من دائرة الاجتماعي إلى دائرة البحث والتفكير العلمي. ويعطي للباحث إشارة الانطلاق، موجها إياه ومرشدا له نحو ما ينبغي عليه القيام به في المراحل والخطوات الموالية. ابتداء من صياغة الفرضيات إلى غاية تحليل المعطيات واستعراض النتائج .

لكن هناك مواصفات وشروط ينبغي أن تتوفر في السؤال إذا أراده الباحث أن يؤدي مثل هذه الوظائف. نستعرضها فيما يلي:

الدّقة والوضوح: سؤال الانطلاق ينبغي أن يكون على مستوى من الدقة من حيث صياغته اللّغوية (المفاهيم والمصطلحات والمفردات التي تتضمنها الصياغة). لا غموض ولا لبس فيه.

الملاءمة: ينبغي أن يكون السؤال:

-خال من الأحكام القيمية، بالاستحسان أو الاستهجان.

-أن لا يتناول موضوعا غيبيا لا يخضع لمناهج التحليل والبحث العلمي.

-أن لا يكون مغلقا يجاب عنه بـ نعم أو لا .

-أن لا يكون وصفيا يبحث في مجرد جمع أرقام واحصاءات، إذ ليس هذا هو هدف البحث غي العلوم الاجتماعية.

-أن لا يكون سؤالا في قيم وتفضيلات الذوق والجمال.

القابلية للإنجاز: ينبغي أن يكون السؤال واقعيا، كي يكون قابلا للإنجاز من حيث المبدأ، ومن حيث الاجراءات العملية. أي في متناول الباحث ويتناسب مع ما يتوفر عليه من مصادر المعطيات والإمكانات والوقت.

أمثلة عن الأسئلة السيئة :

السؤال	الملاحظة	الأصح أن نسأل:
ماهي آثار وسائل الاعلام على سلوك وممارسات المجتمع؟	عام من حيث المفاهيم..	هل لوسائل الإعلام المكتوبة علاقة بالسلوك الانتخابي لدى قرائها؟
هل المسؤولين على المؤسسات الأمنية الدولية يتفقو على فكرة واحدة بخصوص الاستراتيجية الواجب تطبيقها في مكافحة الجريمة العابرة للقارات ؟	يصعب انجازه بالنظر إلى الامكانات التي يستلزمها.	
هل الأساليب والطرق المستخدمة من قبل المؤسسة العقابية تجاه سجناء الجريمة، هي اساليب وطرق عادلة.	يبحث موضوعا أخلاقيا	هل الاجراءات المتخذة ضد المجرمين من قبل المؤسسة العقابية تميز بين الرجال والنساء ؟
لماذا يحبذ الرجال لونا معينا في حين النساء يحبذن لونا آخر؟	يبحث في الذوق والجمال، ليس موضوعا للعلم.	
كم هو عدد ضحايا الاحتيال للتجارة الالكترونية في ظل انتشار الوباء؟	يبحث في مجرد الوصف الكمي للظاهرة، وليس هذا هو هدف البحث العلمي.	لماذا ارتفع عدد ضحايا الاحتيال جراء التجارة الالكترونية أثناء انتشار وباء كورونا ؟
هل الجامعة مؤسسة للبحث العلمي؟	سؤال مغلق يمكننا الاجابة عليه بنعم أو لا.	ماهي العراقيل التي تعترض الجامعة في

		أداء وظيفة البحث العلمي؟ أو ماهي العوامل والأسباب التي تفعّل دور الجامعة في البحث العلمي؟

سؤال تطبيق:

قارن بين الأسئلة التالية من حيث الدقة والوضوح:

ما هي الأسباب وراء بروز عصابات الشوارع وما هو تأثير هذه العصابات على أمن واستقرار الوسط الحضري؟

هل الأفعال الاجرامية التي تصدر عن أنشطة عصابات الشوارع سببا في الإحساس باللاّ أمن لدى المواطنين؟

إلى أي مدى يمكن القول أنّ الفوضى التي تشهدها معظم أحياء الوسط الحضري سببها نشاط عصابات الشوارع؟

المحاضرة السادسة: الاستكشاف والتوثيق

عند الانتهاء من الصياغة المؤقتة لمشروع البحث من خلال سؤال الانطلاق، يصبح الأمر متعلقا بالوصول إلى مستوى معين من المعلومات والمعارف حول الموضوع، وايجاد أفضل الطرق والكيفيات لتناوله. وهنا تكمن مهمة ودور البحث الاستطلاعي كما يعرف عادة، أو المرحلة الاستكشافية. الأمر متعلق بالنسبة لهذه المرحلة، بعمليتين ينجزهما الباحث في العادة بالموازاة وفي الوقت نفسه، ساعيا نحو التعرف أكثر على الموضوع الذي اختاره للبحث. أو محاولا الإحاطة بكافة أبعاد وجوانب المشكلة التي طرحها، والنظر أكثر في مدى دقة وملاءمة السؤال ضمن المعارف والتراث الفكري المتراكم بخصوصه. والأهم من ذلك، التعرف عما إذا كان البحث الذي هو بصدد القيام به له ما يبرره. وما محل هذا البحث ضمن التراث المعرفي والمنجزات العلمية حول الموضوع؟ إنها مرحلة تنقسم إلى شقين في الغالب. من جهة القراءات، ومن جهة أخرى المقابلات الاستطلاعية التي يجريها الباحث مع المتخصصين والعارفين بالموضوع.

أولا: القراءات

التي يقوم بها الباحث في المرحلة الاستطلاعية، تمكنه بالدرجة الأولى من التعرف على البحوث التي أنجزت حول الموضوع، ومن هنا يستطيع أن يقدم تصور عن موقع ومحل البحث الذي هو بصدد القيام به، ضمن مجموع هذه البحوث. والإسهام الذي يفترض أن يقدمه بخصوص الانشغال العلمي الذي يطرحه .

بفضل القراءات إن تمت بكيفية جادة ومنهجية، يستطيع الباحث معرفة الأفق الملائم أكثر كي يتناول موضوع بحثه. ومن هنا يجب أن يختار ما يقرأ وفقا لمعايير جد دقيقة: من حيث ارتباطها بالسؤال، أي سؤال الانطلاق، من حيث ثراؤها النظري والمنهجي، ومن حيث تنوع مقارباتها. وعلى الباحث أن يحرص كل الحرص على أن تكون القراءات بمنهجية، أي وفق خطة يراعي فيها المدة الزمنية المخصصة لذلك، بحيث لا يكثر من القراءات ويسترسل فيها على حساب الخطوات الأخرى. ولكي تكون القراءات مفيدة أكثر ومثمرة، على الباحث أن يستعين بشبكة للقراءة ينجزها وفقا للأهداف التي يسعى للوصول إليها. وفي الأخير ينبغي على الباحث أن يستعين من جهة أخرى بملخصات ينجزها بطريقة علمية صحيحة، من شأنها أن تحافظ له على الأفكار الأساسية لمجموع البحوث والمقالات والأعمال التي قرأها. ومن تم يستطيع المقارنة بينها والأخذ بأهمّها. بشأن القراءة في المرحلة الاستطلاعية، يقول أحد كتاب المنهجية في العلوم الاجتماعية: " قراءة رواية للمتعة وقراءة نص أو مقال في سياق بحث علمي، فعلين في الحقيقة يختلفان"... ومن هنا يقدم جملة من التوجيهات من أجل قراءة فعالة تستجيب للتطلعات العلمية والتحصيل المعرفي :

- القراءة ينبغي أن تكون مصحوبة دوما بتسجيل نقاط.

- من المهم جدا أن تكون القراءة نشطة، بمعنى القراءة باستخدام قلم رصاص نستعمله في تسطير المقاطع والعبارات المهمة، وتحويط كلمات، مصطلحات، مفاهيم. وكتابة ملاحظات على الهامش...الخ. بالشكل الذي يمكّن الباحث في الأخير من استخلاص العناصر الأثر أهمية بالنسبة للبحث الذي هو بصدد انجازه. وهذه العناصر تكون في الغالب ممثلة في الأطروحات الأساسية، البراهين والحجج والمعطيات التي يمكن اعتبارها ضرورية. والمحدد في ذلك بطبيعة الحال هو السؤال الذي يطرحه الباحث في الانطلاق بالإضافة إلى الأسئلة التي تدور في فلكه.

- أن يلتزم الباحث أثناء القراءة وتسجيل الملاحظات بالدقة والموضوعية والحرص على فهم المعاني الصحيحة للنص وعدم الوقوع في فخ الأحكام المسبقة في البحث عن المعنى كما هو متضمن في النص، سيما عندما يتعلق الأمر بالترجمات.

- القراءة النشطة أيضا تقتضي الاستعانة ببطاقات أو كراسات تخصص أو تصنف حسب الكتّاب أو حسب الفصول أو المواضيع.

- تكتمل صورة القراءة النشطة وتأتي أكلها عندما يتوفر الباحث على مستوى معين من القدرة على التركيب. الخاصية التي تسمح له بالذهاب مباشرة نحو الأهم من الأفكار وطرح جانبا الأفكار والعناصر الثانوية، الأمر الذي سوف يوفر عليه الوقت و الجهد.

ثانيا: المقابلات الاستطلاعية

إنها تكمل وبشكل ضروري وأكيد، القراءات. باعتبار أنها تسمح للباحث وتمكنه من الاحتكاك بالمتخصصين العارفين والاستفادة من خبراتهم. الأمر الذي قد يساعده في الوقوف على بعض جانب وزوايا الموضوع التي ربما لم يتمكن منها من أثناء القراءات. كما يمكن للباحث أثناء هذه المرحلة أن يقابل بعضا ممن يفترض أن يكونوا ضمن عينة البحث. وهذا قد يساعده في التعرف على جانب مهم من ميدان بحثه. ويكسبه فكرة عن طبيعة المبحوثين الذين يفترض التعامل معهم، ونوع الأسئلة التي ينبغي عليه تجنبها أو طرحها، والتقنية المناسبة أكثر في جمع المعطيات.

يجب أن تكون المقابلات الاستطلاعية نصف مقننة أو نصف موجهة، باعتبار أن الهدف منها ليس اختبار الفرضيات، وإنما الهدف هو محاولة تحصيل ومعرفة المزيد من الأفكار حول المشكلة والسؤال من أجل التمكن من تصور الإجابات الممكنة، أي صياغة الفرضيات.

في الأخير يمكننا القول أن المرحلة الاستطلاعية إذا تمّ انجازها بشكل جدي وصرامة منهجية من قبل الباحث، فإنها كفيلة بأن تكشف له الطريق الصحيح الذي ينبغي عليه أن يسلكه في اتجاه الهدف الذي

وضعه. وتضعه عند الخيارات النظرية والمنهجية التي من شأنها أن تدفع بالبحث في الاتجاه الصحيح. وتمكن الباحث من الإجابة على الأسئلة المطروحة، واختبار فرضيات الانطلاق بخصوص فهم أو تفسير الظاهرة موضوع البحث.

عند الانتهاء من هذه الخطوة يفترض أن يكون الباحث على موعد مع إعادة صياغة سؤال الانطلاق بشكل يأخذ بعين الاعتبار كافة المعارف والمعطيات التي استجمعها في المرحلة الاستطلاعية. دون تغييب لأي مستوى أو بعد يمكن أن يكون حاسما بالنسبة لمسار البحث وصيرورته.

من المهمّ في الأخير، أن نلفت نظر الطلبة إلى مسألة متعلقة بالخلط الذي يقع أحيانا بين مصطلح الاستكشاف ومصطلح التوثيق. في هذا الشأن نود أن نذهب في نفس الاتجاه الذي ذهب فيه عبد الله إبراهيم، ونقول: أنّ مصطلح الاستكشاف يستخدم، أو بالأحرى من الأفضل أن يستخدم عندما يكون الموضوع لم يختر والمشكلة لم تحدد ولا السؤال قد طرح بعد بشكل واضح ودقيق. بمعنى أن الباحث مازال عند مستوى الفكرة المبدئية المؤقتة، وهو مطالب بأن يقوم بالاستكشاف، أي استكشاف الموضوع والمشكلة ضمن هذه الفكرة. في حين يشير مصطلح التوثيق عندما يستخدم للتعبير عن هذه المحطة أو الخطوة، إلى أنّ الموضوع تم اختياره والمشكلة تم تحديدها عبر سؤال واضح ودقيق. ويبقى على الباحث أن يأخذ على عاتقه مهمة تقييم ما أنجزه، بالرجوع إلى الأبحاث والدراسات والمعطيات المتوفرة حول الموضوع، والأهم في هذا محاولة تقديم المبرر العلمي لإجراء بحث آخر حول الموضوع.

سؤال تطبيقي:

في إطار بحث حول طبيعة الجرائم التي تصدر عن عصابات الشوارع في إحدى المدن الجزائرية، اضطررت إلى جمع مزيد من المعلومات لكي تتعرف أكثر على الموضوع. ما هي الإجراءات التي ينبغي عليك القيام بها؟ ومع من تتواصل وكيف يمكنك تحديد نوع وطبيعة المعلومات التي أنت فعلا في حاجة إليها؟

المحاضرة السابعة:

بناء الإشكالية وصياغة الفرضيات

أولا: بناء الاشكالية

عموما يمكننا تعريف الإشكالية على أنها المقاربة أو الأفق النظري الذي نقرر كباحثين تبنيه من أجل معالجة أو تناول المشكلة المطروحة ضمن سؤال الانطلاق.

هي أيضا الزاوية التي نطرح منها المشكل المراد بحثه والطريقة التي نتساءل عنه من خلالها. ومن هنا نقول أن الإشكالية تقوم بدور الرابط بين موضوع البحث وبين المصادر النظرية التي نعتقد أنها الملائمة أكثر من أجل مقاربته ودراسته.

هذه المصادر يفترض أن تكون متوفرة لدى الطالب بشكل منتظم ضمن دروس النظرية في علم الاجتماع.

وأيضا ضمن الكتب والمراجع المتوفرة في متناول الطالب على مستوى المكتبات الجامعية أو غيرها.

البحث في علم الاجتماع بالخصوص يسعى عادة نحو تجاوز مجرد وصف الظواهر الاجتماعية على الرغم من أن وصفا علميا جادا ليس بالمسألة الهينة، بل تعد أمرا جد ثمين. يسعى البحث في علم الاجتماع أكثر إلى تفسير الظواهر وفهمها. والتفسير في المعنى العام والعملي أكثر، يعني وضع الظاهرة موضوع البحث في علاقة مع أشياء أخرى: ظاهرة أو العديد من الظواهر، نسق من الأفعال التي تنجر عنها، سياق ماكرو اجتماعي، مجموع تحولات تاريخية، معنى من المعاني التي يحملها ذهن أولئك الذين تسببوا في إيجادها، استراتيجيات الفاعلين المتنافسين، الوظائف التي تضمنها للنسق الاجتماعي... باختصار تفسير ظاهرة يعني إخراجها من فوريتها وعزلتها. كما يقول ج. "لدرير" J. Ladrière ضمن كتابه: " السببية في علوم الطبيعة وفي العلوم الإنسانية" والمشار إليه ضمن مقال في مؤلف جماعي بإشراف ر. فرونك R. Frank تحت عنوان: faut-il chercher aux causes une raison ? L'explication causale dans les sciences humaines. لا يمكن للظاهرة أن تصبح قابلة للفهم وللتفكير العلمي، من دون ربطها بالظواهر الأخرى التي تندرج ضمن سياقها العام. فنسب الانتحار لم تكن لتكون موضوعا قابلا للفهم وللتفكير العلمي لو لم يجعل منه دوركا يم كذلك، عندما ربطه بدرجة تناغم وتوازن المجتمع. التمثلات التي يحملها المواطنون عن العدالة لم تكن لتصبح موضوعا قابلا للفهم والتفكير العلمي لو لم تربط بالتجربة اليومية التي عاشها هؤلاء المواطنون بخصوص العدالة. وفي سياق السعي نحو التفسير العلمي لظاهرة ما، يعلن الباحث عادة، أو بالأحرى يكشف عن ملامح المقاربة النظرية التي يعتقد أنها ملائمة أكثر فيتبناها. وعندما يتبنى الباحث نظرية ما، فكأنه يعين الطريقة المثلى بالنسبة له في التفسير. أي تحديده لطبيعة العناصر التي ترتبط بها الظاهرة المدروسة، كي تصبح قابلة للفهم والتفكير العلمي (قابلة للتعقل)

2/ الفرضية:

عندما يتعلق الأمر بالبحث الإمبريقي الكمي أو الكيفي تصبح صياغة الفرضية من أهم الخطوات التي ينبغي على الباحث أن يركز عليها. إذ تعد العمود الفقري والقلب النابض بالنسبة لمسعى البحث.

وفي هذا الصدد يعتبر أحد الكتاب أن البحث لا تقوم له قائمة دون فرضيات، كما أنه ليست هناك وقائع علمية دون نظريات.

«**Il n'y a pas de science sans hypothèses, comme il n'y a pas de faits sans théorie** »

وحسب مقولة شهيرة: "كلما كانت هناك مشكلة كان هناك حل وكلما كان هناك حل هناك مشكلة"

بمجرد أن نصدر فرضية، هذا يعني أنّ هناك مشكلة استدعت حلاّ أو عدة حلول. والفرضية التي نصدرها أولا هي التي يحتمل أكثر أن تعطينا الحل للمشكلة المطروحة.

حين يتعلق الأمر بالمشكلات التي نطرحها للبحث العلمي في العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع على الخصوص، فإن تفضيل حل معين من ضمن الكثير من الحلول الممكنة للمشكلة، يعدّ في المقام الأول ثمرة لقراءات ومطالعات المعارف العلمية المتوفرة حول المشكلة والدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، ونتيجة للمعارف المكتسبة بفضل المقابلات الاستطلاعية والتواصل مع الأوساط العلمية المتخصصة. وذلك في إطار البحث الاستطلاعي. أي الاستكشاف والتوثيق.

تعريف الفرضية: يمكن تعريف الفرضية من خلال مميزاتها الأربعة.

الفرضية هي:	**1. تصريح** **2. توقع** **3. أداة تحقيق** **4. إجابة عن سؤال**

الفرضية تمثل تصريحا لأنها تؤكد فكرة. وهي بمثابة توقع لأنها تتوقع نتائج بعد التجربة. وتعتبر أداة من أدوات التحقق والتثبت، لأنها تتضمن علاقات بين مفاهيم أو متغيرات تتطلب لاحقا قياسها وتقييمها. وأخيرا الفرضية تصاغ دوما لتكون إجابة مؤقتة عن سؤال البحث.

الفرضية كما تعودنا على تعريفها هي، **إجابة مؤقتة** عن سؤال وارد في الإشكالية. ولهذا فهي تأتي مباشرة بعد استكمال بناء الإشكالية، أو بالأحرى كخطوة أخيرة ضمن سياق الاشكالية. يقدم خلالها الباحث تصوره عن الحلول أو الاجابات الأقرب أكثر إلى الصحة.

وباعتبارها إجابة مؤقتة، فهي تتطلب اختبارا بغرض التحقق من مدى صحتها وتطابق اتجاهها مع الوقائع في الميدان. وهو الأمر الذي يتم بالضرورة بواسطة متغيرات قابلة للتكميم والقياس. وتجري المقارنات داخل إطار إجرائي، أين تم تعريف المتغيرات وتكميمها مسبقا.

الفرضية تقوم بدور الوسيط بين أو بالأحرى المفصل بين الإطار المفاهيمي النظري وبين الإطار الإجرائي: إنها بمثابة الجسر الواصل بين الاثنين.

خصائص الفرضية:

1- الفرضية تتضمن علاقة بين متغيرات.

إنها تصف العلاقة المتوقعة بين متغيرين بصيغة إخبارية، على نحو: للمتغير المستقل X تأثير ما على المتغير التابع Y.

مثال: " وجود الصناعات الثقيلة في المنطقة يرفع من احتمال الإصابة بأمراض تنفسية".

المتغير المتضمن في مشكلة (سؤال) البحث ينبغي ان يندرج ضمن سياق الفرضية.

مثال: سؤال البحث

هل توجد علاقة بين المساعدة المقدمة من طرف الأب لطفله من أجل القيام بواجباته المدرسية في المنزل والتحصيل الدراسي لهذا الأخير؟

فرضية البحث

"يرتفع مستوى التحصيل الدراسي للأبناء حسب عدد ساعات التي يقضيها الآباء في مساعدة أبنائهم في إنجاز الواجبات المدرسية".

2- الفرضية تتوقع كيف يتغير متغير وفقا لتغير آخر (كيف تتغير Y بتغير X).

التغير يدور حول درجة العلاقة بين المتغيرات. وفي المثال السابق يدور حول درجة العلاقة بين متغيرات (الساعات التي تقضى في إنجاز الواجبات والتحصيل الدراسي).

وإليكم مثالا حيث تربط الفرضية علاقة بين متغيرات عندما تكون إحدى هذه المتغيرات تتضمن قيمتين فقط، وليس درجات متعددة:

"التلاميذ الذين يشتغلون في وظيفة مؤقتة بالمقارنة مع من لا يشتغلون لديهم مستوى تحصيل دراسي أقل".

إذن واضح من خلال هذه الفرضية أن متغير التحصيل الدراسي (متغر تابع) يتأثر بمتغير الاشتغال بوظيفة مؤقتة (متغير مستقل).

3- القابلية للاختبار

ينبغي أن يكون المتغير قابلا للملاحظة والقياس، وقابلا للتحليل من وجهة نظر إحصائية. بمعنى يجب أن تكون قابلة للتكميم.

يمكن لحالة نفسية لشخص ما أن تكون إلى مدى معين قابلة للإدراك من قبل أفراد الوسط الذي ينتمي إليه. لكن أن يتم قياسه بطريقة موضوعية سوف يكون من قبيل المستحيل. لكن هذا لا يعني أن هذه الحالة غير موجودة.

4- الملاءمة النظرية (La congruence théorique)

ينبغي للفرضية أن تكون منسجمة ومتجانسة مع نظرية معينة ومع اتجاه الأبحاث والدراسات في نفس الميدان أو الحقل. إذا تبين بعد استطلاع الأدبيات والتراث المعرفي أنه من الصعب توقع نتائج البحث، من الأفضل أن تبني صياغة الفرضية الصفرية. أما في حالة ما إذا كانت الأعمال السابقة تشير إى نفس النتائج، يكون من المنطقي صياغة فرضية اتجاهية موجبة أو سالبة.

حتى تكون الفرضية مقبولة ينبغي أن تكون ملائمة لموضوع البحث. فإذا اردنا مثلا قياس أثر العمل المؤقت على التحصيل الدراسي للتلاميذ، سيكون من غير المقبول أن نقوم بقياس تحصيلهم في مادة واحدة فقط.

الهدف من البحث

بالنسبة للهدف هناك نوعين: الهدف العام ويتعلق بالمساهمة التي يتطلع الباحث إلى تقديمها من خلال تناوله لموضوع معين أو بحثه مشكلة ما. والأهداف الاجرائية المتعلقة بالأنشطة أو الإجراءات التي يقوم بها الباحث في سبيل الوصول إلى الهدف العام.

يتم تحديد الهدف العام في ضوء المشكلة والسؤال المطروح. في حالة وجود سؤال واحد للبحث، يجب ألاّ يكون هناك إلاّ هدف واحد للبحث، يتم فيما بعد تجسيده ضمن أهداف إجرائية، أي الأهداف التي تصف عمليات أو إجراءات ملموسة يتعين القيام بها بغرض إنجاز مشروع البحث. الأهداف الاجرائية هي التي تصف العمل الميداني أو التطبيقي الذي سوف ينجز.

لا ينبغي الخلط بين فرضية البحث وأهداف البحث، ولهذا الغرض لا بأس أن نضرب بعض الأمثلة:

1) **بحث امبريقي كمي:** يتناول العلاقة بين القدرة على استيعاب المعارف الجديدة والمستوى الدراسي في حالة عدم توفرنا على المعطيات الكافية نلجأ إلى التصريح بـ:

الهدف العام من البحث:

معرفة العلاقة الموجودة بين المستوى الدراسي والقدرة على استيعاب المعارف الجديدة في مادة الإعلام الآلي.

والأهداف الاجرائية:

1- تشكيل مجموعات تجريبية حسب مستويات التمدرس.
2- إخضاع عناصر المجموعات لتعلم ميزات برنامج جدد ضمن ظروف متطابقة لفترة معينة.
3- قياس بشكل موضوعي للتعلم المتلقى بواسطة امتحان تطبيقي وامتحان نظري.
4- مقارنة قدرات وكفاءات المجموعات.

أما في حالة توفرنا على معطيات كافية بفضل الدراسات السابقة والأعمال المنجزة حول الموضوع سيكون بإمكاننا صياغة الفرضية.

الفرضية: "الأشخاص الذين يحوزون على نسبة أعلى للتمدرس يتعلمون بطريقة أسرع واعمق ميزات البرنامج الجديد.

2) بحث امبريقي كيفي:

الهدف العام من البحث: التعرف على خلفية الصراع في المصلحة X للمؤسسة Y.

الأهداف الاجرائية:

1- مقابلة مدير الموارد البشرية بالمؤسسة بهدف الحصول على معلومات عن المشكلة.
2- القيام باستجوابات فردية معمقة مع أشخاص المصلحة المعنية.
3- الإلتقاء بمسؤولي المصالح الذين تربطهم علاقة مهنية مع أشخاص المصلحة المعنية.
4- الإلتقاء مع ممثل نقابة العمال.

الفرضية: "المؤسسة Y لها مشاكل تخص العمل داخل المصلحة X بسبب المستوى المتدني للشعور لدى العمال بالانتماء للمؤسسة"

نستعيض عن الفرضية بالهدف البحث في حالة البحوث التي تتناول مواضيع غير مستكشفة. أي مواضيع لا يعرف الباحث حولها الكثير، بحيث لا يتوفر على المعطيات الكافية والسند المرجعي الذي يمده بتصور عن الإجابة المؤقتة (الفرضية).

سؤال تطبيقي:

ما هي الفرضية أو الفرضيات التي يمكنك صياغتها كإجابة مؤقتة على السؤال التالي: لماذا ينخرط بعض المراهقين في صفوف عصابات الشوارع؟

المحاضرة الثامنة:

تحديد مفاهيم البحث وتفعيلها

أولا: تحديد المفاهيم Conceptualisation

يدخل هذا الاجراء (استيعاب المفاهيم) كما يسميه البعض ضمن العملية العقلية التي من خلالها يقوم الباحث بتعريف المفاهيم الغامضة وضبط الأجزاء المكونة لها بطريقة ملموسة، حتى يتسنى له الاختبار أو القياس. فغالبا ما نستخدم في العلوم الاجتماعية مفردات أو مفاهيم نستحضر معاني وصور لها في اذهاننا، وتبدو للوهلة الأولى أنها سهلة الادراك والفهم لغيرنا، لكننا نجد صعوبة كبيرة في تحديد المعنى الاصطلاحي لها، أي كيفية تحديد العناصر التي ينبغي أن تدرج ضمن معنى ودلالة المفهوم ونحتفظ بها في ضبط تعريف له والعناصر التي ينبغي أن تستبعد ولو مؤقتا من عملية الضبط والاستيعاب.

تعتبر هذه العملية من أصعب العمليات، بالنظر إلى عدم دقة أغلب المفاهيم المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والالتباس الذي يلف مصطلحاتها.

ثانيا: التفعيل L'Opérationnalisation

هي خطوة ايضا في غاية الأهمية ضمن عملية إخضاع المفاهيم لمتطلبات البحث الميداني وتكييفها بما يتلاءم مع قواعد ومعايير القياس والاختبار. الأمر يتعلق هنا بضرورة الانتقال من المفاهيم النظرية المجردة إلى متغيرات قابلة للملاحظة والقياس. تسمى هذه الخطوة في القاموس الشفوي لدى جمهور الطلبة والأساتذة عموما بعملية أجرأة المفاهيم. أو التعريف الاجرائي للمفاهيم. وتتلخّص عادة في محاولة رصد وتحديد المؤشرات التي من شأنها أن تجعل من المفهوم النظري المجرد قابلا للملاحظة وللقياس في الواقع.

مثال: لو نأخذ مفهوم درجة الحرارة، إنه مفهوم مجرد أي لا يمكننا أن نشاهده. ومن تم لا يمكننا قياس درجة الحرارة. كي نجعل منه مفهوما قابلا للقياس ينبغي علينا أن نعرّف ونحدّد ارتفاع عمود الزئبق في جهاز قياس الحرارة. فالارتفاع هنا لا يعني في ذاته مفهوم درجة الحرارة، وانما يمثل مؤشرا يمكننا من معرفة درجة حرارة أي جسم.

يمكننا القول بعبارة أخرى أن مرحلة التعريفات الاجرائية لمفاهيم البحث، تتجسد من خلال بناء مؤشرات يتجلى المفهوم من خلالها في الواقع.

في العلوم الاجتماعية وباعتبار أن معظم المفاهيم تتمتع بمستوى معتبر من التجريد، ينبغي على الباحث أن يضاعف قدر الامكان من عدد المؤشرات لكل مفهوم، بغرض ترجمته بالشكل الذي يمليه الواقع، بعيدا عن كل تأثير محتمل لتصورات ورؤية الباحث في هذا الخصوص.

من أجل بناء أو تحديد مؤشر ما يجب أولا تحديد أبعاد المفهوم (كيف نصفه؟ وماذا يعني؟).

لو أخذنا مثلا الفرضية التالية: "**المستوى الاجتماعي للأولياء يؤثر على تحصيل التعليم عند أطفالهم**".

مفهوم "**المستوى الاجتماعي**" في هذه الفرضية قد نرصده من خلال ثلاثة أبعاد: **المستوى التعليمي، مستوى الدخل والمهنة**. كل بعد من هذه الأبعاد سوف يقسم إلى مؤشرات. المستوى التعليمي مثلا يمكننا قياسه بالمدة التي قضاها الشخص في التعلم، بالإضافة إلى الشهادات المحصل عليها، ثم نوع المؤسسات التي تلقى فيها التعليم.

المفهوم	**الأبعاد**	**المؤشرات**
المستوى الاجتماعي	المستوى التعليمي	مدة التعليم الشهادات المحصل عليها المؤسسات التي تعلم فيها
	مستوى الدخل	
	المهنة	

المتغيرات:

تعرف المتغيرات على أنها خصائص أو سمات أشخاص، أشياء أو وقائع، مرتبطة بمفاهيم أو مبنية. ويمكنها أخذ العديد من القيم حسب نوع وطبيعة البحث.

في حالة البحوث التجريبية تتمثل المتغيرات في عناصر الفرضية وتأخذ العديد من القيم المتغيرة.

في حالة البحوث الوصفية البسيطة (تحقيق أو سبر) يمكننا الحديث عن متغيرات الدراسة. أو المتغيرات associées مثل نسبة البطالة في بلد أو ضمن فئة معينة.

في حالة البحوث الكيفية، لا نتحدث عن المتغيرات ولا عن الفرضيات. وانما نتحدث عن عوامل أو مفاهيم، أبعاد، أفكار الدراسة والأهداف.

هناك أنواع أو أصناف متعددة من المتغيرات:

المتغير المستقل: وهو المتغير الذي يحاول الباحث التحكم في قيمه أو التلاعب بها (إن صحت الكلمة) بهدف قياس التأثير الذي يفترض أن يخلفه على المتغير التابع. إذن المتغير المستقل هو بمثابة السبب أو العلة. بمعنى آخر هو المتغير المفسر. ففي دراسة مثلا أين يفترض الباحث أن النجاح في الدراسة يتوقف على المدة من الزمن التي يخصصها الطالب لمراجعة خارج أوقات الدوام. المتغير المستقل هي المدة الزمنية المخصصة للمراجعة خارج أوقات الدوام.

المتغير التابع: المتغير الذي تتغير قيمه تبعا لتغير قيم المتغير المستقل. هو المتغير الذي يسعى البحث إلى تفسيره. إنه الأثر الذي يحدثه المتغير المستقل. هو موضوع البحث أو محط التساؤل في الدراسة. يعتبر النجاح في المثال أعلاه المتغير التابع.

المتغير الوسيط: أي المتغير الذي يتخلل علاقة تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع. بمعنى المتغير الذي يتوسط بين المتغير المستقل والمتغير التابع، ويمكن أن تنتفي العلاقة في غيابه. مثلا عندما يفترض باحثا، أنّ المتغير الذي يقسم المتغير المستقل إلى قسمين يختلفان من حيث تأثيرهما على المتغير التابع. مثل تأثير متغير الجنس على العلاقة بين النزعة نحو الوحدة والكفاءة الأكاديمية لدى الطلبة الجامعيين. متغير الجنس هنا يعتبر متغير.....

متغير مستقل **متغير تابع**

متغير وسيط

سؤال تطبيقي:

ضمن فرضية مفادها أنّ عصابات الشوارع تؤثر سلبا على التفاعل الاجتماعي في الوسط الحضري. ما هي الخطوات التي ينبغي عليك القيام بها من أجل ملاحظة وقياس "التفاعل الاجتماعي" في الميدان؟

يتبـــع...

المراجع:

- أنول باتشرجي، بحوث العلوم الاجتماعية: المبادئ و المناهج والممارسات، تر، خالد بن ناصر آل حيان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط2، المملكة العربية السعودية، 2015،
- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى ها برماس، تر: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت 1999
- بول باسكون، إرشادات عملية لإعداد الرسائل والأطروحات الجامعية، تر: أحمد عريف، الرباط، 1981عبد الله بن حلفان بن عبد الله العايش، أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي في ضوء الفكر الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية المعلمين، قسم التربية
- جميل حمداوي، علم الاجتماع بين الفهم والتفسير، شبكة الألوكة.
- جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، تر، محمد الجوهري وآخرون، ط1
- شافا فرانكفورت. ناش مياز دافيد ناش مياز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، تر ليلى الطويل، دار بترا للنشر والتوزيع، ط.1، دمشق، 2004،
- عبد الله إبراهيم، علم الاجتماع (السوسيولوجيا)، المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء، المغرب، 2013،
- عثمان أمين، ديكارت، سلسلة أعلام الفلسفة، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الخامسة، 1965،
- علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، الأساسيات والتقنيات والأساليب، جامعة 7أكتوبر،ط1، بنغازي، 2008.
- محمد بابا عمي، مقاربة في فهم البحث العلمي، دار وحي القلم، ط1، دمشق، 2014.

- Angers, M. initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines,
- Donald Long, Introduction à la recherche, Centre de Recherche et de Développement en Education(CRDE) , Université de Moncton, N.B, Canada EIA
- Fortin, M.F, Le processus de recherche,
  sciences humaines : De la question de départ à la François .DEPELTEAU, La démarche d'une recherche en communication des résultats, 2eme Ed, de Boeck, Paris 2010
- Gaston Bachelard, La formation de l'esprit scientifique, Vrin, Paris, 1938.
- Gilles WILLETT, Paradigme, Théories, modèle, schéma ; qu'est-ce donc ?, Communication et organisation, (En ligne), 10/1996, mise en ligne le 26 mars 2012, consulté le 30 avril 2020, URL ;http ;// Journals.openeditioin.org. 20pages.
- Jean-Paul Fitoussi, Jacques Le Cacheux : Une théorie des années quatre-vingt, Observations et diagnostics économiques, Revue de l'OFCE, n° 29, octobre 1989

- Lalande, 1976, cité par Gilles FERREOL & autres , Dictionnaire de Sociologie, Ed, Mehdi, 4è édition, Algérie, 2013.
- Lavergnas. I, « la théorie et la compréhension du social »dans Gauthier, B.(sous la direction de),recherche sociale, De la problématique à la collecte des données,
- M. Fichant : Sur l'histoire des sciences, Maspero, 1969.
- Madeleine GRAWITZ, Méthodes des sciences sociales, Ed, DALLOZ, 3è édition,Paris,1976,
- Omar AKTOUF, Méthodologie des Sciences sociales et approche qualitative des organisations Une introduction à la démarche classique et une critique,
- Paul N'DA, Recherche et méthodologie en sciences sociales et humaines, Réussir sa thèse ,son mémoire de master ou professionnel, et son article, L' Harmattan, paris, 2015,p.17.
- Popper, Karl, la logique de la découverte scientifique.
- Raymond QUIVY Et Luc Van. CAMPENHOUDT, Manuel de recherche en sciences sociales, DUNOD, 3ère Edition, Paris, 2006,
- Raymond Quivy, Luc Van Campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales, DUNOD, 3 Ed. Paris 2006,